تفسير إبن كثير

وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ

ثم قال : (وإذا غشيهم موج كالظلل) أي : كالجبال والغمام ، (دعوا الله مخلصين له الدين) ، كما قال تعالى : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) [الإسراء : 67] ، وقال (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) [العنكبوت : 65] .ثم قال : (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) قال مجاهد : أي كافر . كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد ، كما قال تعالى : (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) [العنكبوت : 65] .وقال ابن زيد : هو المتوسط في العمل .وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله : (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) [فاطر : 32] ، فالمقتصد هاهنا هو : المتوسط في العمل . ويحتمل أن يكون مرادا هنا أيضا ، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدؤوب في

العبادة ، والمبادرة إلى الخيرات . فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة هذه ، والله أعلم .وقوله : (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) : فالختار : هو الغدار . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده ، والختر : أتم الغدر وأبلغه ، قال عمرو بن معديكرب :وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختروقوله : (كفور) أي : جحود للنعم لا يشكرها ، بل يتناساها ولا يذكرها .